

المسُنن الإلهية لا تتغيّر ولما تتبدّل

العلامة/ عبد الكريم الخضير

{فَحَقَّ وَعَبِدَ} (14) سورة ق [أي وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك، يعني المسُنن الإلهية بالنسبة للمخالفين لا تتغير ولما تتبدّل، فمتى وجدت المخالفة، وأيس من الاستجابة حق الوعيد، وحقّت كلمة العذاب، والمسُنن الإلهية لا تتغيّر ولما تتبدّل، وما نعيشه في زماننا من مخالفات مع أن الله -جل وعلا- يوالي علينا من النعم ما لا نقوم بشكره يَخشى منه من سوء العاقبة، فلو قرأنا في المجلد السادس من نوح الطيب وجدنا الصورة مطابقة؛ لكن نسأل الله -جل وعلا- أن يتداركنا، وأن يردنا إليه رداً جميلاً، فالسُنن الإلهية لا تتغيّر ولما تتبدّل، يعني ما استثنى من الوعيد الذي حق على هؤلاء المكذّبين لما قوم يونس، استثنوا لما رأوا العذاب آمنوا و لما حق الوعيد ورأوا العذاب ما فيه سنن لا تتغيّر ولما تتبدّل، ما فيه إذا رأيت المقدمات مقدمات المقتن ومقدمات الشرور والعذاب تقول: آمنت، ما يكفي، أعطيت فرصة ومهلة وعندك ما يدلّك على المصراط المستقيم ومع ذلك خالفت بطوعك واختيارك تحمّل، يقول: {فَحَقَّ وَعَبِدَ} وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك، وفي هذا تسليّة للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وإن كان -عليه الصلاة والسلام- يعني الأرجح عنده والمفضل عنده أن يستجيبوا له، وينجّون بسببه؛ لكن الذي خالف مع الإصرار والعناد يتحمّل، الذمّة برئت من تبلّغ، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله -جل وعلا-، أولاً: يجب أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، وأن يقتدوا بنبيهم -عليه الصلاة والسلام-، وما عليهم بعد ذلك إلا البلاغ، كونك تدعو وتدعو ولما ترى مستجيب لا يعني إن هذا خلل فيك أو في دعوتك؛ وإن ما النتائج بيد الله -جل وعلا- والمقلوب بيده سبحانه وتعالى، أنت عليك أن تبدّل السبب تأمر وتنهى وتدع وإن استجاب المدعو و لما فالأمر ليس إليك {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}

{128} سورة آل عمران [هذه قيلت في أشرف الخلق، فلا يضيق صدرك بمثل هذا، نعم {لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُرّ المنعم} لكن لا يعني أنك تحترق أو تبخع نفسك أو تقتل نفسك إذا لم يستجب لك أحد، أنت أجرك ثابت والمعقوبة على المخالف، والناتج بيد الله -جل وعلا-، ومن نعم الله -جل وعلا- أن ربّ الأجر على بذل السبب لا على النتيجة.

وبعض المكاتب المعاصرين مع الأسف أن كتبتهم تتداول في المكتبات، يقول: إن نوحاً فشّل في دعوته، يعني ألف سنة إلا خمسين عام ما استجاب إلا نفر يسير؟ ما استطاع أن يوثّر على ولده ولما على زوجته دعوته فاشلة، مثل هذا يقول: في حق نبي؟ في حق رسوله؟ ويتناول أيضاً على أشرف الخلق ويقول: إن محمداً فشّل في دعوته في مكة والطائف ونجح في المدينة {فهل على الرسول إلا البلاغ المبين}

{35} سورة النحل [الدعاة أتباع الرسول الذين يدعون إلى الله على بصيرة قد لا يستجيب لهم أقرب الناس إليهم، ولو فتشنا في بيوت العلماء الكبار وجدنا في أبنائهم مخالفات، وجدنا في نساءهم مخالفات؛ لكن هل يعني هذا أن هم ما بذلوا، بذلوا يا أخي؛ لكن الهداية بيد الله -جل وعلا-، لا يملك القلوب إلا الله -جل وعلا-، أنت عليك بذل السبب، كثير حتى من طناب العلم يتندر يقول: شوف فلان انشغل بدعوة الناس وتعليم الناس والمصالح العامة والخاصة وشوف أولادهم شو هم، نحن نعرف من شيوخننا من تقطع أسى على أولاده، وبذل لهم من جهده ووقته وماله ما يسعى به إلى إصلاحهم لكن ما بيده حيلة؛ لكن لا يعني هذا إن الإنسان يفرط في تربية أولاده ونسائه وأطره على الحق ثم يقول: الناتج بيد الله، ابذل والناتج بيد الله، أنت عليك بذل السبب. أهـ

المقطع من تفسير سورة (ق) المدرس الثاني.